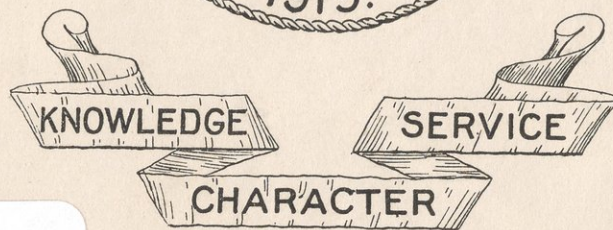


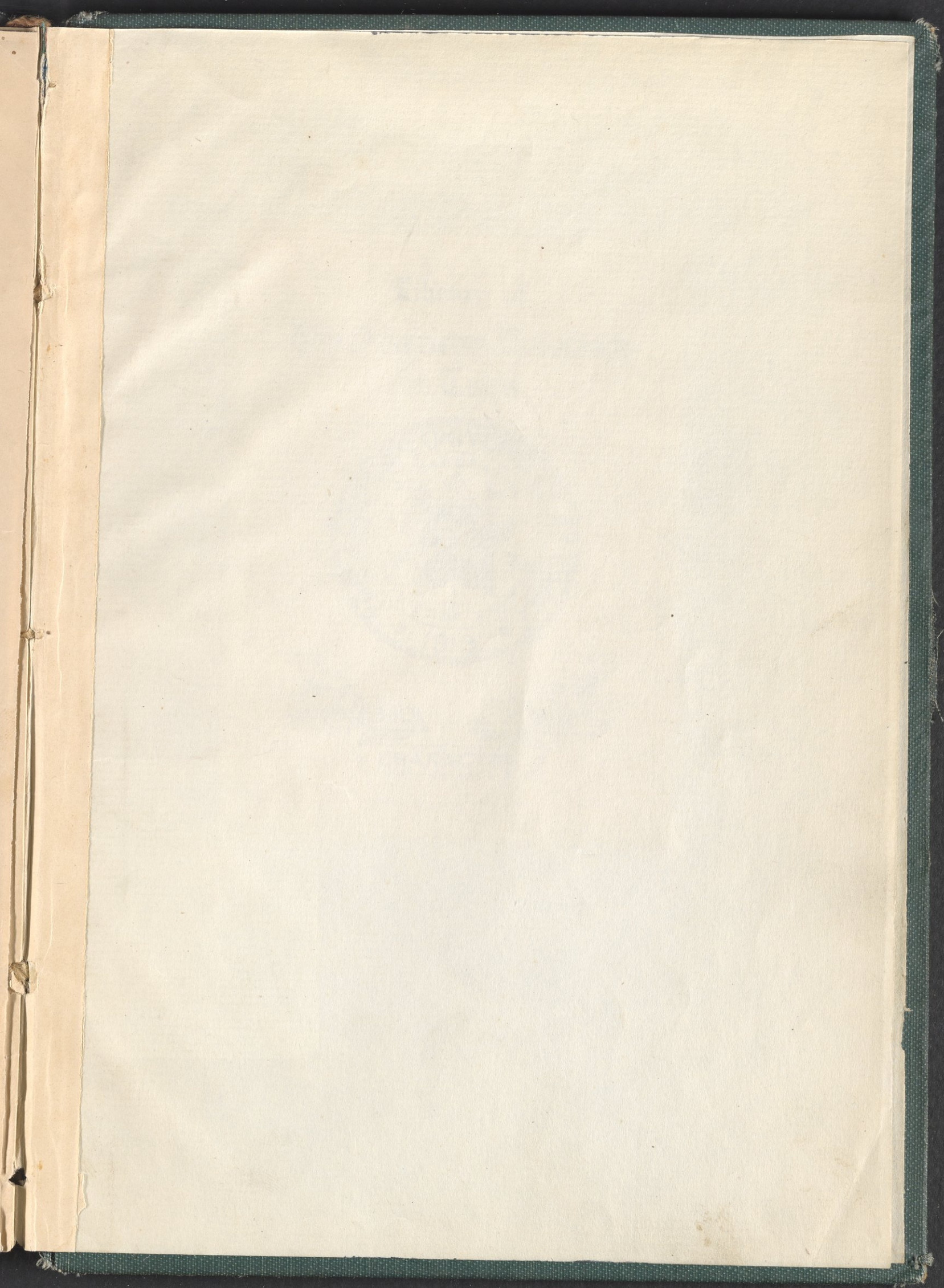
AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



3 8534 00858 0866

^{S O S}
Library of
The American University
at Cairo





School of Oriental Studies
of
The American University at Cairo

المشكلات - ٢

LG
511
C45
A6x
1945

رسالة التلاوة

في القرن العشرين

بقلم

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

٦ - ٢٨ - ١٩٨١

297-6

ar/11m

SOS

٧٧, ٨

٢

٣٠٠

منه

المطبعة العامة

28287

بمطبعة المطبعة العامة

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين صطفى ، وبعد ،

فليس في الأرض معهد إسلامي أجل في نفوس المسلمين من الأزهر وليس
في الأرض معهد إسلامي أكثر طالبا غربيا وقريبا من الأزهر
وليس في الأرض معهد إسلامي أجمع لصنوف أمم الاسلام المختلفة
من الأزهر

فقد وفد إليه وافدون من ممالك الاسلام قريبة والبعيدة ، ففيه الجاوي والهندي
والورى واليمنى والعراقى والفارسى والمغربى ، يطلبون العلم ويردون مواعده . فان
استقوا عذابا فراتا مجوا في أممهم عذابا فراتا ، وإن استقوا صابا وعلقما مجوا في أممهم
صابا وعلقما . فهو من العالم الاسلامى كالقلب من الجند إذا صلح صلح الجسد كله
وإذا فسد فسد الجسد كله فهو ليس المصريين وحدهم بل لأمم الاسلام جميعا ، فمن
قتله فكأنما قتل أمم الاسلام جميعا ، ومن أحياه فكأنما أحيى أمم الاسلام جميعا .

إذا كانت منزلة الأزهري من العالم الإسلامي هذه المنزلة فمن الحق أن تكون رسالته في القرن العشرين هي فهم الدين الإسلامي على وجهه ، وتقييم المساهمين إياه على وجهه .

إن الدين الإسلامي فهم كثير منه في العصور المتأخرة على غير وجهه ودخلت فيه بدع وزوائد لم تكن منه ولا توافق روحه فأضرت بدنيا المسلمين وأخراهم . فرسالة الأزهري أن يفهم الناس الدين على وجهه ، وأن يتقيه من الزوائد والشوب ، وأن يصفيه من الكدر ليعود حلوا جناه ، وعذبا مشربه ، وبذلك يمكن أن يقوم بما يأتي :

١ - إحياء أمم الشرق ، وذلك بإحياء الأخلاق فيها وذلك بإحياء لدين وعمارة نفوسهم باليقين .

ب - إصلاح الأسر الإسلامية بتنظيم الزناج والطلاق فيها وجعل رباط الزوجية متينا جدا أمثنا مما هو عليه الآن .

ج - صياغة المعاملات الإسلامية على وجه يتفق والنظريات الاقتصادية ولا يخالف روح الدين .

د - صبغ الروح الإسلامية بالصبغة الإسلامية نقلايه وذلك باعتناق العقيدة التي تجعل المرء حرا مختارا مسئولا عن كل ما يعمل بقدر ما أعطى من حرية واختيار .

هـ - بث العقول من مراقدها وإنهاض قوى الإنتاج العقلي من سباتها وإجلال العقل الإنساني ، وإحلاله منزلته العليا في الوجود التي ليس بعدها منزلة والتي جعلت الدين يتحاكم إليه فيما شجر من خلاف بينه وبين الناس - والتي جعلت من مبادئ الإسلام أن يؤهل النبل إذا تعارض مع العقل .

و - ربط حديث الأمة بقديمها فيحافظ على اللغة العربية وعلى علوم الأوائل ويعرضها على الجيل الحاضر في معرض حسن جذاب يشوق إلى قراءتها والتمتع بها هذه رسالة الأزهر وهي رسالة نبيلة حقا لا سيما إحياء أمم الشرق بإحياء الأخلاق والدين فيها ، فإذا كان واجب الطب أن يصح الأبدان ، وواجب الهندسة أن تقيم القناطر والجسور ، وواجب الزراعة أن تخصب الأرض ، فواجب الأزهر - على نبل هذه الواجبات - فوقها نبلا ونداسة .

إن أمم الشرق قد وُنت فتمخلفت ، وإن أمم الغرب قد جدت فتقدمت ، وإنه قد احتكت المدنية الغربية بالشرق ، فأخذ أسوأ ما فيها من دعارة وتهتك ، وإباحية وإلحاد ، وانغماس في الشهوات الجسدية ، وترك خير ما فيها من جد وعمل وسعى وإصلاح وتقدم ، ابتكار .

هذه الرذائل في الغرب يغمرها ماء دهم من فضائل ، وهي لا تحلل من الغرب بقدر ما تحلل من الشرق ، لأن الغرب جسمه قوى حصين ، والشرق جسمه ضعيف متداع . والجراثيم المقتاكة لا تحلل الجسم القوى ذا الحصانة ويضعف الجسم الضعيف عن مقاومتها فتضعفه وتبليه . فواجب رجال الأزهر أن يوقفوا هذه الأمم من سباتها ، ويقوموها من رقدها ، ويباعدوا بينها وبين ما ارتكست فيه من شهوات وإباحية وإلحاد .

إنه لا يضطلع بهذا الأمر العظيم إلا كل رجل عظيم ، إنه يحتاج إلى الصبر فاصبروا أيها الأزهريون كما صبر أولو العزم من الرسل ، ويحتاج إلى إرادة قوية فصبوا في إرادتكم عنصر الحديد . ويحتاج إلى التجرد من الشهوات الدنيئة والمطامع الفانية ، والكرهية للجهل الزائف ، والشرف الباطل ، فكونوا سماويين علويين أطهارا أبرارا روحانيين ، أجسادهم في الأرض ونفوسهم في السماء ، بل كونوا

ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون .

يجب أن تسنيدوا من العلم ، وأن تتساحوا به ، فالعلم قوة بل هو أعظم قوة في الوجود ، فتكونوا في وسط الكتاب أقوى الكتاب والمنشئين ، ومع المؤرخين أعلم المؤرخين ، ومع رجال الاجتماع أنفذ رجال الاجتماع بصرا . ومع الفقهاء ورجال التشريع أعظم رجال الفقه والتشريع

ويجب أن تتدربوا بدروع الأخلق فالأخلق دروع حصينة ، وأن تستعينوا على خوض غمار الحياة بالصبر والعزم ، والاقدام والحزم ، وأن تتساموا إلى معالي الأمور وإلى عظامها

وإنما طلبنا إليكم أن تبلغوا الآية في كل فن ، وأن تستولوا على الأمد في كل سباق ، لأننا نريد لكم أن تكونوا قادة أمتكم ، والنفوس لا تقرب بالقيادة إلا لمن رأت منه مواهب أعلى من مواهبها ، وبهرها ما تجده فيه من علم وخلق

واعلموا أن موقفكم الذي أوجدكم فيه القدر الآن أصعب من موقف أسلافكم وأنه يقتضي من الجهود أضعاف ما بذله أسلافكم ، فدكن أسلافكم هم قادة الفكر في زمنهم ، لاثقافة في البلد إلا ثقافتهم ، ولا علم إلا علمهم ، فكان الشعب يرد موارد علمهم ولا يعرف غير مورد هم موارد ولا غير مشرعهم مسارع أما الآن فقد تعددت الثقافات ، وتنوعت المشارب ، ولن يرد الشعب إلا

أعذبها موردا ، وأصفها مشربا ، في مصر ثقافات مدنية ، وأخرى لا دينية ، فلتجاهد الثقافة الدينية وسط هذه الثقافات ، ولتجعل عدتها البيان ، فلن يكسب القلوب إلا أحسن هذه الثقافات بيانا وأقواها برهانا

أعلم أن من الناس من يتكر أن يكون ذلك كله من رسالة الأزهر وأنه ليس من الواجب على الأزهر تربية الأخلق في الأمة . وأعلم أن من الأزهرين أنفسهم من تملصون من هذه التبعات ، يقولون أن الأزهر معهد تعليم للغة والدين ولا يطالب بأكثر من ذلك فمهمته علمية ، لا عملية فلا تكلفوه أكثر مما يطيق وإلى هؤلاء وأولئك أسوق الحديث

لمن وكلت رعاية الأخلق في مصر ؟ وأي الطوائف يجب عليها أن تعني بها فيها فتعمل على غرس الأخلق الفاضلة في نفوس المصريين ، ونزع الأخلق الجاهلة منهم ، وتعمل على حفظها وتثبيتها ؟

حفظ الصحة في مصر موكول إلى وزارة الصحة ، فليها أن تقيم من الأمراض وعليها أن تقوم بكل ما يحفظ على المصريين صحتهم . وبكل ما يدفع عنهم عدوى الأمراض المعدية . وغائلة الأمراض الوافدة

ومالية مصر موكولة إلى وزارة المالية فهي التي تحفظها ، وتوازن بين دخل الحكومة وخرجها ، وتوزع الميزانية على حسب المصلحة وهكذا فروع الحياة في مصر لها من يقوم بها ويعنى بأمرها ، وهو مسئول عنها إن قصر في هذه العناية فمن للأخلق فيها ؟ من نيط به حفظها والقيام عليها وهو مسئول عنها إن قصر في رعايتها ؟

لما وفدت حمى الملاريا على مديرية قنا وإسوان ، التفت المصريون إلى وزارة الصحة يعتبرون عليها ويحاسبونها حسابا عسيرا وهي قد قامت بردم البرك والحجر الصحي وتقديم الأدوية وقتل جراثيمها وعمل كل ما يمكن لمطاردة المرض وحصره لئلا يتفشى في سائر بلدان القطر ، فمن نهزع إليه نحاسبه إذا تفشت الأمراض الخلقية

واستفحل شرها ، من نقول له قصرت وكان يجب ان تعمل وهو من جانبه يقوم
بمكافحة المرض وحصره وتخفيف ويلاته شروره

اننى افتش فلا أجد من يتحمل مسئولية الأخلاق ظاهرا أتركت في مصر
بدون رعاية ؟ أبلغ من هوانها على الأمة ألا تكل أمرها إلى طائفة مخصوصة
يقومون بها ويسألون عنها ؟

إن الأخلاق أعز شئ في الوجود فهي ألى بأن يعنى بها ، ويوكل بها
القادرون على حفظها ورعايتها

أن الأخلاق عليها رقى الأمة وانحطاطها ، وتقدمها وتأخرها . وسعادتها
وشقاؤها ، فليس من الممكن أن يغفل أمرها ، فلنبحث في طوائف الأمة لعلنا نجد
من هو بحكم مركزه مسئول عنها

لعل أقرب الطوائف إلى ان يكونوا مطالبين بحفظ أخلاق الأمة ومطاردة
الرديلة فيها ، وجلب الفضيلة إليها . هم رجال الدين الذين يمثلهم الأزهر في مصر
فهم العلماء وورثة الأنبياء ، والنبي يقول أنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق فإذا
كان النبي قد جعل الغرض الأتم من بعثته مكارم الأخلاق ، وغرسها في نفوس
المسلمين ، وحفظها والقيام عليها فما أحق ورثته أن تكون تلك مهمتهم وأن تكون
قد نيّطت بهم ، يسألون عنها إذا قصرُوا فيها - لقد كان النبي داعيا إلى الفضيلة
ومنفرا من الرديلة ، والقرآن مليء بالدعوة إلى الصدق والأمانة والبذل
والشجاعة ، والعفة والنهي عن الكذب والخيانة والفجور والبخل والجبن . وقد تعقب
الفضائل فضيلة فضيلة والردائل رديلة رديلة فلم يترك فضيلة الا حض عليها ، وشوق إليها ،
وبين ما لها من جزاء ومشوية ، ولم يترك رديلة إلا نفر منها ، وبين ما عليها من جزاء
وعقاب ، لقد كان نبي الاسلام يحارب الردائل بالقول إن نفع القول ، وبالفعل أن

لم يكن إلا الفعل ، وكن يثبت الفضائل كذلك بالفعل والقو فمن الحق على خلفائة
أن يكونوا كذلك

الآن علمت أيتها الأمة من المسئول عن الأخلاق في مصر فاذا رأيت
العفة قد ضعفت والأمانة قد اضمحلت ، وإذا زاد الفسق والفجور ، فلتهرعى إلى
الأزهر وسلى علماءه فاعلماءهم المسئولون

وإذا رأيت التجار حملهم الجشع إلى المال عن المغالاة في الأسعار وعلى
حجز أقوات الأمة عنها ، فالتفتي إلى الأزهر وسأله لماذا قصر في بث الأخلاق
الفاضلة في التجار فهو المسئول ، وإذا رأيت العرى على الشواطىء المصرية ورأيت
الصيانة قد هتكت أستارها ، ورأيت الاحتشام قد ذهب وولى ، ورأيت المكشونات
المصونات ، قد تكسرن لحوما بشرية على الشواطىء ، فولى وجهك شطر الأزهر
فالأزهر هو المسئول الأول والأخير عن ذلك وإذا رأيت الموظفين قد تلاعبوا
بوظائفهم ، واتخذوها طريقا للأثراء والكسب وخانوا أماناتهم ، ولم يؤدوا
واجباتهم فليس إلا الأزهر من مسئول

اعلم أن الأزهر يتملص من تبعاته ويهرب من واجباته ويقول أنا معهد
علمي للتعليم فهمتى هي التعليم وتخرج العلماء وليس على من مهمة غيرها وهذا
تصور خاطيء لمهمة الأزهر ومما يؤسف له أن الكثرة المطلقة من الأزهريين
تفهم هذا فتقصر في واجباتها بحسب هذا التقصير في الفهم

ما رأيت طائفة تسعى في الحد من اختصاصها وتقلل من مهماتها مثل
طائفة الأزهر

الناس يسعون في أن يوسعوا من اختصاصهم ، وربما اعتدوا على اختصاص
غيرهم إلا الأزهر فإنه يضيق من اختصاصه ، وإذا اعتدى أحد على واجباته سلب

له بدون أن يحرك ساكنا أو يبدى اعتراضا

- ٣ -

هذا هو المثل الأعلى الذى يجب أن يكون عليه الأزهري، وهذا هو المثل الأعلى للرسالة التى يجب عليه أن يؤديها لمصر وللشرق، ومما لا شك فيه أنه لا يؤدى الآن هذه الرسالة على وجهها وأمنية العالم الاسلامى أن يؤديها على وجهها وليس الطريق إلى ذلك التعلل بالآمال، وإنما الطريق هو ما يسير عليه علماء العصر فى معالجة الأمور، إنهم يعتقدون أن لكل شىء فى الكون عللا وأسبابا، فلنجاح الأمم والأفراد والجماعات علل وأسباب، ولنشأها علل وأسباب، ثم يبحثون عن العلل التى تؤدى إلى الفشل لتجنبها، والعلل التى تؤدى إلى النجاح لتتبعها. لقد مضى ذلك الزمن الذى كان يظن فيه أن الأمر والنواهي والأ أنظمة كفيلة بالأصلاح. أو أن التقدم والتأخر بالمصادفة والاتفاق، وأصبح الناس يبحثون عن العلل النفسية والأمر الاجتماعية التى تؤدى إلى ما يرونه من ظواهر، إذا عرف السبب للفشل. النجاح؛ سهل تلافى كل ما يمكن أن يؤدى إلى الفشل وعمل كل ما يؤدى إلى النجاح

وسنأخذ فى تعرف هذه العلل على قدر الطاقة وسنصف الدواء على قدر الاستطاعة، وبحسبنا أننا بذلنا الجهد، ومن بلغ جهده فقد بلغ عذره

- ٤ -

أن التعليم فى الأزهري لم يصبغ بالصبغة الأخلاقية لم يعن فيه بالخلق كما يجب فهو مصبوغ بالصبغة اللغوية والفقهية والكلامية فهو معنى بعلوم اللغة وعلم الفروع وعلم الكلام. لهذه العلوم الشأن الأول عنده وليس للأخلاق هذا الشأن والقرآن

والحديث يدرسان دراسة فقهية لغوية ولا يعنى فيها بالعبر والاخلاق وسنن
الله فى الوجود

ومن المعلوم أن العلوم اللغوية والكلامية والفروعية لا تهذب خلقا ولا تثبت
فضيلة إلا بالعرض فما لا أحكام الطهارة والغسل والبيع والعرض والجواهر الهيمولى
والصورة والأعراب والبناء وللأخلاق إنها لا تؤثر فيها من قريب ولا من
بعيد وقد كان ينبغى أن يكون للأخلاق الشأن الأول وأن تحتل منزلة علم الفروع
لأن الشريعة الإسلامية مقصدها الأسمى تربية الأخلاق وقد حصر صاحبها
صلى الله عليه وسلم الغرض من بعثته فى تربية الأخلاق فقال إنما بعثت لأتمم
مكارم الأخلاق

وقد صار العلاج الآن معلوما وهو أنه ينبغى أن يعنى فى الأزهر بالأخلاق
وأر يصبغ التعليم فيه بالصبغة الخلقية وأن يكون للأخلاق القيمة الأولى فى
جهل المرء بالشروط اللازمة لتطهير نفسه معينا عند الأزهرين كجهله بشروط
تطهير بدنه وهكذا

ومما ينبغى التنبيه إليه أن قد يدخل علم الأخلاق فى التعليم ولا يؤثر الأثر
المرغوب فيه لأنه لا يدرس كما يجب فيدرس مثلا لتلاميذ السنة الأولى من القسم
الابتدائى عدة تعاريف للخلق العادة والفضيلة والرياسة والكرم والشجاعة الخ مما
لا يؤثر فيهم ولا يعدل من أخلاقهم وإنما الواجب أن يقدم لتلاميذ القسم الابتدائى
سير الأبطال والعظماء ورجال الفضيلة فتفيدهم الحكاية الواحدة مالا يفيدهم
سفر مملوء بالتعاريف والاصطلاحات . ويجب أيضا أن يعنى الأزهر بالأخلاق
العملية ويستعير ما يناسب من أنظمة الصوفية فى تطهير النفس من الرذائل وتحليتها
بالفضائل بالمرانة والتعود والصبر

ويجب ألا يترك التلاميذ فوضى لا تراقب أخلاقهم وسيرتهم ، بل ينبغي أن تراقب أخلاقهم وسيرهم ويظهر للتلميذ الفاضل على أنه عنوان فخر للأزهر ، وللتلميذ الشرير على أنه عار على الأزهر ويدخل في روع كل تلميذ أن الرذيلة سبب الحرمان من دروس الأزهر وبالجملة يجب أن يعتقد الأزهريون إعتقادا جازما لا يحتمل النقيض كما يقولون يظهر على أعمالهم وسيطر على تصرفاتهم ما قاله صلى الله عليه وسلم وأيده علم الاجتماع ذهب حسن الخلق بخيرى الدنيا والآخرة

- ٥ -

يشاهد في الأزهر عدم الشره في العلم فان الطلاب يتخلفون عن الدروس ويحضرون بعد فوات جزء منها ويغادرونها قبل تمامها ويلهو بعضهم بالحديث مع البعض الآخر أو قراءة الجرائد ولا يستغلون بالعلم رغبة فيه ولكن للنجاح في الامتحان. ولقد عجزت الأنظمة والمراقبون والعقوبات أن تؤدي ما كان يؤديه الشغف بالعلم في الماضي القريب من الحرص على الدروس والانصات اليها وعدم التخلف عنها والاشتغال بشيء آخر خلافا.

وأما العلماء فكان ينتظر أن يكون إلتاجهم في العلم كثيرا ، فترى منهم من يعرض علوم الأولين في ثوب قشيب يناسب روح العصر ، ومنهم من يناقش النظريات السالفة ويأتي بخير منها ، ومنهم من يصعد الهجمات الموجهة للأسلام والسلف الصالح الخ ولكن مع الأسف لم نجد ذلك منهم كما يجب .

وأن المرء ليعجب إذا نظر إلى منتجات الماضين ورأى للواحد منهم المآت من الكتب في الفنون المختلفة . وربما كان فيها الكتاب ذو العشرات من الاجزاء . هذا ابن جرير الطبرى له في تفسير القرآن ثلاثون مجلدا . وفي التاريخ اثنا عشر مجلدا عدا كتبه في الفقه والشرعيات وكلها كتب تحتاج إلى عناية ونصب

وقوة حفظ لأنه اعتمد فيها على الرواية ذات الاسانيد وهذا الأمام محمد بن
ادريس الشافعي له كتاب الأم في الفقه سبعة مجلدات عدا كتبه الأخرى
وهذان ابن القيم وابن تيمية لهما من الكتب في الفنون المختلفة ما ينيف على
مآت المجلدات .

وإن المرء ليزداد عجباً حين يقرأ الكتاب لسيديه ويرى فيه علم الخليل بن
أحمد فيعجب لهذا الاستقصاء في استقراء كلام العرب . ولهذا العمق في البحث .
وهذه القوة في الاستنتاج .

وكذلك إذا قرأ بعض مؤلفات أرسطو في العلوم المختلفة كالمنطق والأخلاق
ليت شعري ما الذي حفز السابقين إلى الابتكار والتصنيف . وشجذ همهم
إلى التأليف . وقعد بهمهم علماء العصر عن مجاراتهم في هذا المضمار ؟
السبب في ذلك هو تغلب المعنويات على علماء العصور السالفة . وتغلب
الماديات على معاهد التعليم في هذا العصر .

لقد كان الأولون قوماً أحبوا العلم ورأوا فيه لذتهم وسعادتهم فأثروه على
الولد والمال ومتع الحياة . فلم يكن ذوو العروش والبيجان بأسعد حظاً من أفلاطون
وأرسطو في توليد المعاني وابتكار العلوم ولا بأسعد من الخليل حين ابتكر علم
العروض والنحو والصرف وكانوا قوماً زاد إيمانهم وقوى يقينهم فالتمسوا أرضوان
الله بخدمة علوم الدين . ونفع المؤمنين وكانوا قوماً يحبون أن يكون لهم لسان
صدق في الآخرين فعملوا ما يوجب لهم الذكر الحسن والثناء الباقي
أما الأزهر في هذا العصر فقد دخلته المادية التي أفسدت كل شيء في
هذا الجيل .

فسد هذا الزمن وتحولت أنظار الناس جميعاً إلى المال . وطنوا أن سعادة

المرء بقدر ما في خزائنه من مال وبقدر ما يملك من عقار وضياع . وأولوا احترامهم للغنى وضمنوا به على العالمين العاملين . فتطلب الناس السعادة والكرامة من طريق المال . وأغفلوا كل مناحي الحياة الأخرى التي توجب سعادة تقصر عنها سعادة المال . لقد قلت المعنويات والروحانيات من العالم فقلت سعادتهم . وكثير شقاؤهم . فيجب أن تعود للأزهر روحانيته . ويجب أن يعلم الأزهريون أن السعادة في داخل النفس لا في المال والضياع وأنه ربما كان الأجير في المزرعة أسعد من رب المزرعة . وربما ملأت السعادة جوانب كوخ صغير فأنارته وملا الشقاء قصرا منيفاً فأظلم .

إن لذة العالم يبعثه والمبتكر بابتكاره والعابد بعبادته والفاضل بفضائله . لذا نذ لا يصل إليها الأغنياء بذهبيهم ولا ذوو الجاه بجاههم ولا الملوك بملكهم وسلطانهم ولذلك قال بعض العباد .

(لو يعلم الملوك ما نحن فيه من لذة لجالدونا عليها بالسيوف)
يجب أن يعلموا أن الذين تتردد أسماؤهم الآن على الألسن وترن في الآذان وتنحنى لهم الرءوس عظيمة وإكبارا وتحقق لذكركم القلوب محبة وإجلالا ، وأن الذين أنقذوا أممهم من الهمجية وصعدوا بها إلى سلم المدنية وأن المصلحين الاجتماعيين وأن الذين أقاموا الأديان وشيدوا صروح المدنيات ووضعوا في الأرض بذور الخير والبركة كانوا يلبسون المسوح والمرقعات من الثياب ويأكلون من خشن الطعام وكانوا يمشون ليالي على الطوى ويربطون على بطونهم من الجوع يجب أن يعلموا أن الفقر ليس بعار وأن الغنى ليس هو المطلب الاسنى في الحياة وإذا كانت أممهم لا تؤمن بذلك فيجب عليهم أن تؤمن بذلك .

وسيله أن يؤمنوا به أولا فاذا اقتنعوا به سهل عليهم أن يقنعوا غيرهم من الناس

يجب أن يعلموا أن طالب العلم لا يحرز الخير المادى والمعنوى إلا بحب
المعنويات وطلبها — أما حب الماديات فهو مفسد لطالب العلم ويجعله لامادة ينال
ولا علما يكتسب.

والسبيل إلى ذلك دراسة كتب وتاريخ الصوفية والفلاسفة والارتياض
بمزاولة المعنويات من بحث وابتكار ونفع وإرشاد واستقامة وتهذيب للنفس .
وخلق جو فى الازهر لا يكبر إلا الفضيلة .

إن الازهر إذا وصل إلى ذلك فستكون له رسالة عامة يؤديها إلى الانسانية جميعها
إن الانسانية قد طغت عليها المادة . وأقفر قلوب الناس من المعنويات وخلت
من الله ومن الفضائل فساروا فى همجية وبربرية . وإذا بقوا على ذلك فسيمحق
بعضهم بعضا : ويصيب المدنية الدمار والفناء .

ولن ينقذ البشرية مما هى فيه إلا رجوعها إلى المعنويات وعمارة قلبها باليقين .
والازهر إذا رجع إلى صوفيته وعنى بالمعنويات . وتفهم الاسلام على حقه بشر
العالم بذلك فرجع إلى الخير وانقذ العالم من هذه الهوة التى ينحدر اليها .

أخذت ثقة الامة المصرية فى الازهر تضعف شيئا فشيئا .
والعلة فى ذلك الدعاية السيئة التى تقوم بها طوائف تريد أن تحتل مكانة
الازهر وتغنى غناؤه .

ثانيها قلة الانتاج العلمى فأن الناس حين لا يرون ما يروع تخمد فى نفوسهم
الحاسه له . وهذا الانتاج على قلته لا يحسن الازهر لاعلان عنه ولا يشجعه أهله
لانهم يرون أن ارتفاع شخص منهم اغتصاب لهم : وأنهم كانوا أولى بالارتفاع منه
فيجب أن يدرسوا فن الحياة وأن يعلموا أن ارتفاع شخص منهم ارتفاع

للأزهر . وأن الأشخاص فانية والأزهر هو الباقي . وأنه ستبقى الأشخاص وسيبقى الأزهر وأن الوجود يتسع للكثير . وأن الجمهور يستطيع أن يرى على المسرح عدة من اللاعبين .

ثالثها — تسرب الاعتقاد إلى الأمة بأن الأزهريين موظفون فحسب — يشتغلون لأشخاصهم لا للنفع العام .

إن الأزهر لا يؤدي رسالته إلا إذا وثقت الأمة به ولبن ثقت الأمة به إلا إذا رأت منه بعدا عن المادية ، وصرامة في الحق ، وجراءة على إبداء الرأي وتحملا للآذى في سبيل حماية الدين ، بهذا وبهذا وحده تضع الأمة فيه ثقتها ، فيحملها على الأخلاق الفاضلة والشيم العالية ، ويسير بها قدما إلى العزة القعساء والشرف الرفيع .

ضعف الخيال ، وفقر النفس والشعور ، ونضوب الحيوية ، وقصر الأمل ، وخمود النشاط ، وجمود الحس ، وتقييد العقل ، هذه صفات ربما وجدت في الأزهر — وهذه أمور مقعدة مشبطة ، بها يخذ الناس إلى الأرض ، ولا يرجون درجة واحدة إلى السماء . وما العمل على إصلاح المعوج من الناس ، وإقامة المنآد . وما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة صروح الأديان والحضارة ، ما الابتكار والاختراع إلا وليد قوة الخيال ، وفيض الحيوية وغنى النفس والشعور ، وتوقد شعله النشاط ، العبقرية ، حسن الرجاء في إصلاح الناس ، لأن الحقيقة لا تطير إلا على جناحين من الأمل والخيال ، والرأ لا يفيض الحياة على غيره إلا لغزارة الحيوية فيه .

والسبب في وجود الصفات التي ذكرناها في الأزهر أن الأزهر لم يعن

بتربية الخيال ، والموازنة بين ملكاته ، ففيه بحوث في الدور والتسلسل ، وبحوث جدلية وكلامية . مما ينمي قوة الجدل ، ولكن ليس فيه ما ينمي الخيال والأمل ، من فن وشعره قصص ، وكان يجب أن يعز بتربية الخيال لأن الله لم يخلقه عبثا . والسبيل إلى تربية الخيال والأمل ، وتوفير الشعور والحيوية ، قراءة سير الأنبياء والعظماء والمخترعين ، وحشد أذهن بجملة من أخبار الأبطال والمصلحين والمضحين بأنفسهم في سبيل الانسانية والكشف العلمي والاطلاع الغزير

يلاحظ أن مادة المعاني عند الأزهرين ليست غزيرة فليست عندهم المعاني التي يحتاج إليها من يقف موقفاً خطابة في المسائل المختلفة ، ومن يكتب في موضوع من الموضوعات المتنوعة .

وعذرهم في ذلك أنهم إنما ينفقون مما اكتسبوا ، وهم إنما يدرسون علوماً آلية كالنحو والصرف ، وأصول الفقه ، وعلم الفروع والمنطق الخ ، وهذه كلها لا تعطى مواد المعاني التي يحتاج إليها الكاتب والخطيب

والذي يسد هذا النقص أن تقرر عليهم دراسة كتب من الكتب التي غنت بالمعاني المختلفة ، وأوردت كثيراً منها ، فتكون مادة للطلاب ينفقون منها ويستولدونها ، وخير ما نشير به في ذلك كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والكامل للمبرد ومقدمة ابن خلدون ، والاحياء للغزالي ، ودواوين الشعراء ، ورسائل البلغاء وقد كان المتقدمون يعنون بهذه الدراسات ، فكثيراً ما يقال في كتب التراجم ، وقرأ عليه ديوان المتنبي مثلاً أو الحماسة .

ويحسن أن تقرر عليهم كتب مختلفة يطالعونها في المسامحات ، ويكافأ من أدى فيها امتحاناً بنجاح ، كما يحسن أن تنقلب الدراسة للحديث والقرآن إلى دراسة

معنوية، فينتقل البحث من دائرة الألفاظ وتطبيق قواعد النحو والصرف والبلاغة عليها، إلى البحث في المعاني ومعرفة سنن الله في الخلق والاجتماع وبالجملة يدرس القرآن من الجهة التي أنزل لأجلها، من حيث هو هدى للمتقين، لا من حيث هو تمهين للمعريين.

وإني لا أعجب كيف تكون الدراسة لتكوين الداعين والمرشدين ويعنى بالآلات ولا يعنى بالمقاصد.

إن الأزهري لم ينجأ العظماء الذين يترفع بعضهم ويمثلون الدنيا آثارا صالحة ويفرضون آراءهم وأفكارهم على الناس، ولولا أن أنجب أفرادا معدودين كالأستاذ الإمام لعد عقيما.

وقد فكرت في هذا الأمر طويلا، فهداني البحث إلى أن من البيئات يثارت تساد على وجود العظماء، ومنها بيئات تقتل العظماء وقد أدرك ذلك الأمام الشافعي حين رأى الليث بن سعد فقال: «إن الليث أعلم من مالك ولكن أصحابه لم يقوموا به».

وأخص صفات البيئات التي تقتل العظماء التقليد والحسد ووقدان الشهور بالجمال، فإن التقليد يمنعهم من إدراك عظمة العظيم بأنفسهم، ومن الاعتراف بعظمته إلا تقليدا، الحسد يحول بين المرء بين الاقرار للعبقري بالعبقريّة، عدم الشعور بالجمال المعنوي يجعل المرء في ادراك العظيم في ادراك.

لم ينل الأستاذ الإمام عظمته من الأزهري. إنما اعترفت له البيئات الأخرى بالعظمة، ثم دخلت الأزهري فاتحة فاضطر الأزهري إلى أن يقر بها. وبدهى: إذا أريد أن يكون الأزهري بيئة صالحة لا نجاب العظماء أنه يجب

أن تحرر العقول فيه ، تفك من أسر التقليد ، ينقي من رذائل الاخلاق ، منها الحسد ، أن يربي فيه ملكة الشعور بالجمال .

يشاهد أن التخرجين في الأزهر كسائر أبناء المدارس المصرية يعتمدون على وظائف الدولة ، وظائف الدولة تتسع إلا للقليل ، فان فاتتهم لم يعملوا عملاً وأضاعوا عمرهم سدى في الانتظار .

هذه آلة العمل في مصر مرجعها إلى أنظمة الاجتماعية ، إلى التربية المدرسية . نعيم الموظفين ورفاهيتهم ، واجلال الناس لهم ، لها دخل كبير في هذه النهضة الاتكالية .

وذلك النظام المدرسي الذي يعد من التلاميذ موظفين ويصنعهم متشابهين ككتاب واحد ، اتحد معناه وتعددت نسخه ، عامل مهم أيضا في تلك النهضة الاتكالية ، والرأى العام الذي يكبر الوظيفة من العوامل أيضا ، فأينا توجه التلميذ ، في البيت ، أو في المدرسة ، أو في المجتمعات العامة ، لا يجد إلا توجيهها للوظيفة .

يجب أن تترك الطريقة التي تصبغ الطلاب جميعا بصبغة واحدة ، ويستعاض عنها بالطريقة التي تخالف بينهم وتجعل كل واحد له غرض ومرمى في الحياة يتفق مع استعداده وميوله ، وتدرس لهم تاريخ الجمعيات التبشيرية ، وكيف انشئت ، وكيف تمكنت من العيش في بلدان الشرق من حيث تنفع نفسها ودينها ولغتها ؟ ليتشبهوا بهم ، ويتخذوا من تاريخهم أسسا لحياتهم المستقبلية . يجب أن تدرس لهم أعمال المحبين لآثار السلف بالبحث عن كتبهم وطبعها بعد العناية بقصصهم ، ليكون منهم الطابعون والناشرون .

يجب أن يدرس لهم كيف ينقدون ويبتكرون ؟ ليكون منهم مبتكرون في العلوم ، ويجب أن تحتفظ لهم بقولهم وإرادتهم ، ليفكر كل واحد بعقله ، ويريد إرادته ، يجب أن يغرس في نفوس التلاميذ أن عدد الوظائف محدود ومتناه ، وعدد المخرجين غير محدود ولا متناه ، ومن المستحيل أن يسع المحدود المتناهي ما ليس محدودا ولا متناهيًا ، وأن الوظائف لا تتسع إلا الخمسة في المائة ، ومن الحق أن يقامر المرء بحياته والخسارة مقدرة بخمسة وتسعين في المائة .
إنه يجب أن يعتمد المرء على نفسه ، فإن الناس لا يقدر أن يفيدوه بقدر ما يفيد هو نفسه .

إنه من الحق أن يترك المرء السبل الطبيعية الواسعة التي نشاهدها تتسع لملايين الأجناب بين ظهر أبنينا ، وينتظر هذا الطريق غير الطبيعي مع ملايين المنتظرين . إن الحياة جهاد لا ينجح فيها إلا الأقوياء خلقا والأقوياء علما .

بديهي أن هذه النهضة العظيمة التي تؤملها للأزهر لا يقوم بها إلا المدرسون القادرون ، ورجال الإدارة القادرون ، فيكونون عالمين بقيمة الأخلق في الحياة وقادرين على توجيه الطلاب إليها ، ويكونون أقوياء في مادتهم وذوى ضمائر حية تأبى عليهم أن يروا معوجا ولا يقوموه ، في علم تلامذتهم وأخلاقهم . وإذا ظفر الأزهر بعدد من هؤلاء فقد ظفر بالنجاح في مهمته

فإن المدرس القدير ينهض بتلاميذه إلى أعلى الدرجات ، وبحسبنا أن نذكر أن السيد جمال الدين الأفغاني نفخ في تلاميذه روحا منه فاستيقظوا وأيقظوا أممهم ، وهذه النار القدسية التي تتأجج في الشرق هو الذي أذكاهما والسبيل إلى إيجاد المدرس القدير ، ورجل الإدارة القدير ، اليقظة التامة ،

والتد الصادق ، واختيار العمال ذوى الكفايات ، واختصاصهم بالخيرات ،
والكرامات ، فيعلم المدرسون أن لا سبيل إلى الخير والكرامة إلا العلم الاضج ،
والخلق المتين ، والجد فى العمل ، ونفع الناس . بذلك يتسابقون إلى الخيرات
من هذه الطرق الشريفة ، فيستفيد المعلم والتلاميذ من وراء هذه المنافسة الخير
الكثير .

أما توزيع الخيرات والكرامات لاعتبارات أخرى غير العلم والخلق ، والجد
والنفع ، فيجعلهم يتسابقون فى ميدان هذه الاعتبارات ، ولا يبالون بعلم ، ولا بخلق
ولا بنفع .

--- ١٢ ---

فى الأزهر صورية فى الأعمال ففيه صور الأشياء دون حقائقها ، وقشورها
دون لبابها ، فيه صور للامتحان الشفهى والتحريرى ، دون حقيقة الامتحان ،
فالامتحان الشفهى ضعفت قيمته عند المتحنيين ، وصار فى نفوسهم أن الخير
الايستق فى الطالب ، بل يوكل أمره إلى التحريرى ، والامتحان التحريرى
يعمل بطريقة تمتحن الحافظة ، دون الفاهمة ، فلايسأل فى التطبيق إلا قليلا ، وإذا
سئل فى التطبيق جىء بالأثلة من الكتاب المقروء ، فيكون التطبيق أيضا امتحانا
للحافظة ، والطلبة إنما يشتغلون للامتحان ، فاذا علموا أن هذا المجهود الضئيل من
حفظ رسوم القواعد ، دون تفهمها . كاف فى الامتحان لم يتجاوزوا ماوراءه

والعلة فى هذه الصورية أن فى المعاهد تنافسا ، فكل يريد أن يضرب الرقم
القياسى فى حسن النتيجة ، والطريق السهلة إلى ذلك هذه الصورية . والدواء أن
تلغى الصورية . وسبيل ذلك أن يملن صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر إلى
المدرسين والقائمين على شؤون المعاهد إعلانا صريحا لا يدع مجالا للشك أنه يحتقر

الصورية وأن خير المعاهد وكرامتها لا يكونان إلا لمن يعنون بالحقائق ، وأن
إنجاح من لا يستحق النجاح يحتوى على جريمتين ، جريمة الكذب ، وجريمة
شهادة الزور ، وتلحقه جريمة ثالثة وهى توسيد الأمر إلى غير أهله إذا قدر لهذا
الذى نجح دون استحقاق أن يلى شأننا من شؤون الدولة ، هذا وما تقدم من
اتقاء العمال معين على إزالة الصورية

يظهر أن الأزهر يسير مغمضا عينيه عن تطورات الحياة ، غافلا عما يجد فيها
من شئون ، فلذلك لا يقدر هذه التطورات ، ولا يعطيها ما يجب لها ، وكان ينبغي
أن يرقب تطورات الحوادث ، ويربى أبناءه ليقدروا على السير فى هذا التطور ،
ويعددهم له أحسن إعداد ، فيجب أن يعلم مثلا أن العلم كان أكثر من يعنى به
الطبقة العليا والوسطى ، فكان مصبوغا بصبغتهم ، وموافقا لمزاجهم .
أما الآن فقد صار العلم جمهوريا ، يقصد به قصد الجماهير ، فينبغى أن يصبغ
فصغة الجماهير ، ويجعل موافقا لمزاجهم النفسى ، ولكن الأزهر بقى على
ارستقراطيته فى العلم ، وسأمثل .

لما كان العلم موجها نحو الطبقة العليا والوسطى صبغ علم الكلام بهذه الصبغة
بهو جلى ، يناسب من ارتقوا عن درجة العامة ، ولا يناسب الجماهير بحال . فبا
للجماهير قدرة على إساعة الدور والتسلسل ، والجوهر العرض ، وما إلى ذلك من
الأدلة الجدلية المبثوثة فى علم الكلام ، وقد كان هذا سائغا فى العصور التى وضع
فهي المأذكرناه ، أما الآن وقد سيطرت الجماهير على مصائر الأمور ، فلم يسغ
عندها هذا النحو من العلم ، ولو علم الأزهر بهذا التطور لوجه علم الكلام نحو
الجماهير ، وصبغه بصبغتهم ، فاستعمل الخطابة والموعظة الحسنة مما يؤثر فى نفوسهم

ويوافق مزاجهم النفسي ، ويجب أن يستعمل الحكمة في خطابه ، فيخاطب الناس على قدر عقولهم ، فيعلم أن من الناس من يفيدهم البرهان ، وهم العلماء المنتهون ، ومنهم من لا يفيد إلا الخطابة ، وهم الجمهور ، ومنهم بين ذلك . قد ارتقوا عن العامة ولم يصلوا إلى الخاصة فلا يفيدهم إلا الجدل فيعرف هذه الطبقات ويخاطب كل طبقة بما يوافقها ولا يخاطب هذه بخطاب تلك فلكل مقام مقال .

ومن التطورات أيضاً أن الناس أصبحوا يعنون بالجميل أكثر مما يعنون بالنافع فمن الواجب أن يجعل الأزهر علمه النافع جميلاً لينوز برضا الناس وأقبالهم وأعجابهم واستفادتهم

ولن يصل إلى ذلك إلا بالأسلوب الحكيم اللفظ الجزل وحسن التصوير وقوة البيان - أن من البيان لسحرا -

وإن البيان نفسه قد تطور فبعد أن كان محسنات بديعة وأغراباً في اللغة أصبح سهولة في التعبير وقوة في الخيال وفيضا في العاطفة .

وينبغي أن يعلم الأزهر أنه لا تقوم عقيدة دينية أو اجتماعية ولا مذهب سياسي إلا بالدعوة إليه وإن أساليب الدعوة قد تطورت فأصبح أنداها صوتاً وأعظمها تأثيراً وأقدرها على توجيه الجماهير الصحافة . فيجب أن يعلم طائفة أساليب الصحافة وينشئ صحافة يجد فيها الجمهور ما يحتاجون إليه من صور الحياة وفي ضمن ذلك العبر والأخلاق التوجيه إلى الدين الصحيح وأن يكون له في كبريات الصحف محررون يدعون الناس إلى الخير والفضيلة كما ينبغي أن يعلم أن للنساء أثراً كبيراً في الاجتماع فهن فوق انهن نصف المجموع مربيات لأهيات الغد ورجال المستقبل وموجهات للرجال في الحياة فكأنهن الإرادة المستترة كأن الرجال القادرة المنفذة فينبغي أن يعنى بتربيتهن على الدين والسير والفضيلة والسبل إلى ذلك

ثم هذه ليس هذا موضع تفصيلها

يخيل إلى أن فرق ما بين الرئيس الصالح والرئيس الطالح ، أن الأول يعمل لمرءوسيه ، والثاني يعمل لنفسه ، وهذا فرق لا يكذبك ، ولا يخدعك ، تجد الأول يتوخى بعمله مصلحة مرءوسيه ، فإن كان رئيس مدرسة ، أو معهد : لم ي ، عمل كل ما ينمي معارف التلاميذ ، ويثبت أخلاقهم ولا ينظر في كل ما يعمل إلا إليهم ، أما الثاني فلا يعنيه أمر أخلاقهم ، ولا معارفهم ، وإنما تعنيه نفسه ، فهو يضحى بالحق والنظام والعلم والأخلاق في سبيل نفسه ، بينما ترى الأول يجد في التعاميل وفي المحافظة على النظام ، وفي أن يؤدي كل واجبه ، وفي أن يكون الامتحان ميزان عدل - ترى الثاني يهمل في التعليم وفي النظام وفي تأدية الواجب وفي الامتحان يرى أنه إذا شدد على مدرسين في تأدية الواجب أحفظ المدرسين عليه ، وإذا امتحن بالعدل فلا ينجح إلا من يستحق ، ولا يسقط إلا من يستحق ، أحفظ الطلاب عليه ، وإذا شدد في حفظ النظام ومراعاة القانون ، أحفظ هؤلاء هؤلاء فيهم في كل ذلك ليرضوا عنه .

يرى الأول أنه يجب أن يرضى الحق والنظام والعدل ، وإذا رضيت عنه فلا يبالي أن يخطط عليه ماعداهما ، بل أنه يرى أن الطلاب والمدرسين لا يكرهونه لتشبهه بالحق والقانون إلا لنقص في عقولهم ، وعجز عن إدراك مصالحهم ولا يجرن الآخر إلا لهذا النقص ، وهذا العجز ، ولن يكون ذلك إلا في أيام الاختلال والثورات ، فإذا تكشفت الأمور ظهر أن الأول صديق أمين ، والثاني عدو مبين .

إن الطالب يحب من يعيش في امتحانه لمصاحبة وقيمة زائلة ، ولو علم أنه بذلك

يخرجه إلى فرق فوق مستواه ، وإلى صفوف لم يستعد لها ، وأن علم ما يستقبل موقوف على علم ما استدبر ، وأنه بذلك يحكم عليه بالجهل المطبق ، والخبية التامة فيما يستقبل من حياة ، لكرهه أعظم الكره ، ولعلم أنه العدو الخائن ، وأن الأول هو الصديق الذاصح . أ. المدرس يجب من يعينه على الإهمال في واجبه ، ويبغض من يحمله على أدائه ، والحرص عليه ، لقصور في عقله ، فاذا علم أن الأول يعينه على إضعاف معلوماته ، وعلى الاستمرار في الجهل ، وعلى تعويده الإهمال ، وعلى إضعاف معهده ، وأن الثاني يعين على عكس ذلك على إتمام معلوماته ، وعلى تعويده القيام بالواجب ، وعلى رقي معهده ، أصفى حبه لمن يستحقه ، ووضع بغضه فيمن يستحقه .

إن الأول أمين بعيد النظر يسعى في ترقية مستوى معهده ومن يعيش معهم . ويعلم أنه سيلاقى في ذلك عنتا وضرا ، ولكن عقي ذلك خير لطائفته ، وللأمة ، وله أيضا . ولكن الثاني يعمل على الاستفادة من غفلة أمتة . وطائفته ، ويعمل ما يحلو لهم في الحال . ولا يعمل على ترقية مستواهم ونقايتهم من حال إلى أرفع منها وهو لا يريد إلا أن يعيش مستريحاً هاتفاً يحظى برضا العامة والاعتراف . وهو ضيق النظر : فلا يرى أبداً من أنفه . ولا يظن أن يطاع مرءوسه على جهله وختله فيقلب حبه بغضاً .

إذا كان ذلك كذلك . فقد تغير المقياس في أيدينا ، فهل نستطيع أن نغيره ونقول : إن الرئيس الصالح يعمل لخير مرءوسيه وخير أمتة وخيره ، وإن الرئيس الفاسد لا يعمل لخيره . ولا خير مرءوسيه ، ولا خير أمتة .

لقد طال الكلام وكثرت المقدمات ، فماذا أريد أن أقول ، أريد أن أقول إنه يجب أن يكون حظ الأزهر من الرئيس الأول كثيراً ، وحظه من الرئيس

الثاني قليلا . أو ألا يكون له حظ منه البتة إن أمكن

الأ زهر محب للاصلاح ككل الطبقات والجماعات ، ولا كنه يؤمن بالقوانين
إيماناً قويا . ويظن أن عندها ما يريد من اصلاح وليس أدعى للخطأ من ظن كهذا .
إن السرف في الرجال الذين يقومون على تنفيذ القانون ، لا على القانون ، إن القانون
آلة صماء لا تعي ولا تعرف . أما الرجال فهم الأحياء الواعون .

إن خير القوانين بيد أفراد لا غناء فيهم كشر القوانين ، وإن شر القوانين
بيد أفراد فيهم غناء . كخير القوانين ، إن القانون إذا كان يدخر قاء انحرفت به ،
وإذا انحرفت لا تقدر أن تسير على الجادة أما اليد الصانع فانها لا تنحرف ، وإذا
انحرفت عادت إلى الجادة

آمن الأ زهر بالقوانين فأخذ ينقدها يغير ويبدل فيها ، وبيحث عن خير
القوانين ليحلها محل القانون الفاسد ، ولم يعمل مثل ذلك في الرجال ، فالرجال
الذين يتولون الأعمال لا يتقنون ولا يغيرون ولا يبدلون فالتبعة ليست عليهم إنما
التبعة على القوانين . وما لنا نبحت عن الرجال ذوى الكفاية والخلق لنوليهم الأعمال
مادما نجد القوانين الصالحة ، إن خير الرجال وشرهم سواء مادام القانون صالحا .
هذا ما نعتقده أو لعلنا نظن ننا نعتقده لبرر أعمالنا في اختيار غير الأ كفاء
وتفضيلهم على الأ كفاء

إننا نختار رجالا فنوليهم أعمالا لا يحسنونها ، ونسترعى أقواما على أقوام
ولو طلب منا أن نستريحهم على قطع من الغنم أو ذود من الابل لما أمناهم على ذلك
ولرأيناهم أقل من هذه الرعاية ، فكيف نستريحهم على قوم عقلاء . وبأيديهم مصالح
العباد والبلاد ؟

إننا متأخرون هذا التأخر إلا لعدم اختيار العمال ، إننا نعيش في القرن العشرين ونحكم بعقول القرون الخالية والأزمنة الغابرة .

أكتب على هذه الأمة أن تستفيد الأمم من رجالها ، وأصحاب العلم فيها ، ولا تستفيد هي من خدامها المخلصين ، ورجال العلم العاملين ؟
أكتب على العلماء فيها أن يشقوا ويتعبوا ، وأن ينبشوا الدفاتر والمكاتب حتى يظفروا بخير ما أنتجته الأجيال ، ثم يرجعوا إلى نفوسهم ، فيعكفوا عليها باحثين ، مستنتجين قائلين : حتى يصلوا إلى ما ند عن القدماء ، وغاب عن العلماء فيكملوا ما نقص ، ويصلحوا ما فسد ، ويستبدلوا بالباطل حقاً وبالزائف خالصاً ، ثم يقدموا ذلك لأمتهم طعاماً دسماً شهياً فتصدف عنه أحوج ما تكون إليه ، وأنفع ما يكون لها ؟

أكتب على هذه الأمة أن تترك الأقوياء الأمناء . فلا توليهم عملاً ولا تستفيد منهم - وإن الواحد منهم أجدى عليها من قطر السماء ومن بركات الأرض - وتذهب إلى من ليسوا كذلك فيفسدوا بقدر ما يصلح الأولون ، ويؤخروا بقدر ما يقدم الأولون ؟ خير للأمة أن تبحث عن الأقوياء الأمناء بمصباح ديوجين . فانهم لا يعلنون عن أنفسهم ، ولا يتمسحون بالاعتاب ، ولا يتزلفون لذوى السلطان لينالوا حظوة أو جاهاً

إن المعلم الصالح ورئيس المدرسة الصالح أجدى على الأمة من المحافظ والحصون . إنه يخرج لها جيلاً مهذب الخلق مستكمل العقل ، معتاداً للنظام محترماً للقانون . وبذلك يسعد . ويسعد الناس معه .

أما المعلم الفاسد ومدير المدرسة الفاسد ، فهما أعظم شؤماً على الأمة من القحط الشديد والوباء المبيد ، لأنهما يخرجان شباباً لم تهذب أخلاقهم ، ولم

تستحكم عقولهم ولم يعتادوا النظام ولا احترام القانون . وبذلك يشقون ويشقى
الناس معهم .

لو كان عندنا فى النابغين كثرة لكنا اذا أهملنا ذاك وجدنا منه عوذا . أما زهم قلة
فيجب أن نفتش عليهم حتى نظفر بهم . وإذا ظفرنا بهم لم نضيعهم ولم نهملهم واحتفظنا
بهم احتفاظ من يعلم أنهم أعظم قوة فى الوجود . إن الفضيلة متأمية . تعاف الموارد
الويلية وتحتمل الظلم . وهى تتوقف وتتمهل وتختار ، بينما الرذيلة لا تعاف شيئاً
ولا تتوقف ولا تتخير . وهى بكدها وسرعتها وحركتها تقتصب الفضيلة حرقها .
لا تدعوا الرذيلة تطارد الفضيلة ، ولا الجهل يطارد العلم .

إن السفينة التى يقودها ربان جاهل بالملاحة ونوتية جهلاء بها لهى سفينة ميتوس
من نجاتها غارقة اليوم أو غداً .

لعل قائل يقول : إنك فيما كتبت تريد المثل الأعلى الذى يجب أن يصل
إليه الأزهر ، ولكن الرجل العملى يجب أن ينظر إلى الواقع . فيعلم أن الأزهر
يجب أن يفكر فى أمره ليعيش كما تعيش سائر الطوائف . إنه قد دب فيه الفساد
حتى فقد الحياة التى تحياها سائر الطوائف الدنيا . فلمفكر الآن يجب أن يعالجه
ويأخذ بيده لينهض إلى الحياة العادية السهلة التى يستمتع بها الناس ولا يستمتع بها
هو ، وإن الذى ينظر إلى المثل الأعلى ، ويطير فى جوار الخيال ، يغفل عن الأمراض
الواقعة . ويذهب يستمتع بتصورات وأحلام ليبلغ الكمال المنشود . ومثله فى ذلك
مثل مريد أن يعلم مريضاً مدنفاً الرماية . الفروسية وفنون الحرب . فيغفل عن
مرضه الذى أقعده عن الحركة ، ويوجه همه فى الأسباب التى تجعله بطلاً من
الابطال . ولن يبلغ من ذلك شيئاً حتى يبدأ فيداوى جسده من الأمراض والعلل

حتى يصير رجلا يتمتع بالصحة المعتادة لسائر الناس . ثم يعمل على تعليمه الفروسية وفنون الحرب .

كذلك من أراد العمل بخير الأزهر يجب أن يعيد إليه الصحة التي يستمتع بها الطوائف . فاذا فعل ذلك بحث بعد فيما يؤدي به إلى الكمال . وإني أقول لهذا القائل إنني شعرت بما شعرت به . ولم يقتني ما تنبهت له . ولذلك كتبت فصولا بحثت فيها أمراض الأزهر ، والعلل التي آخرته . والأسباب التي يصح عليها . فاذا عادت إليه الصحة كانت الفصول السابقة مبينة لسبيل الكمال الذي ينشده له كل محب لمصر وللإسلام وللعالم الشرقي .

أن الأزهر عليل ، قد برحت به العلة ، ويحتاج إلى من يطب له . ويعرف أسباب مرضه ، ويصف الدواء الذي يكون منه شفاؤه . لقد وقعت فيه في هذه الأعوام الأخيرة أحداث جسام تنفطر لها القلوب وتنشق لها الجيوب وتدل على انحلاله ، وتغلغل الفساد فيه .

لقد اضرب أبنائه نصف العام الدراسي في سنة ٤٣ — ٤٤ لا يتلقون فيه علما ، ولا ينتظمون في درس ، وحدثوا الشغب والاضطراب ، وكان مما أحدثوه أن اعتدى بعضهم على بعض بالعصى والمدى ، واعتدى بعض الطلبة على بعض الأساتذة فضربوهم بالعصى ، وحاولوا الاعتداء على شيخ معهد فلما اعتصم منهم بجبرته حاولوا إحرقها عليه ، وكان منهم بعض التخريب لعمادهم ، وإيجاد النار في بعض حجراتها . لقد عمتهم فتن كقطع الليل المظلم لا تنجلي منها غاشية حتى تغشى غاشية . لقد وجدت فيهم ضعائنا واحن وعداوت وحزازات جعلتهم يكيدون بعضهم لبعض ، ويتهم بعضهم بعضا ، ويوقع بعضهم ببعض .

كل هذا كان في الأزهري الذي هو مبعث العلم ومهبط الحكمة ، ومقر الدين
والذي كان الظن بأبنائه أن يكونوا أمثلا أعلى في التوادر والتحاب والتراحم
والتسامح ودقة النظام .

لقد كانت العلاقة بين الطالب وشيخه في الأزهري علاقة روحية كانت عند
الطالب حبا وإجلالا ، وعند الأستاذ حبا وحنانا ، كان الطالب ينظر إلى شيخه
كأنما يرقب نجما في السماء لا كائن من سكان الأرض وكان الأستاذ يراه أحد
أبنائه ، وكان الطالب يرى أن والده مربى الجسد ، وإن الأستاذ مربى الروح ،
وشتان بين مربى الجسد ومربى الروح - لقد استحالت هذه العلاقة إلى ما ذكرنا
بعضه .

الا إن المصيبة بمحنة الأزهري عظيمة ، وأعظم منها سكوت الأزهريين عليها
فلا ينصح أحد بكلمة ، ولا يبدى أحد رأيا ، كأن الأمر لا يعينهم .
أين ما أخذ الله على العلماء من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ أين
ما أخذ الله على المسلم من النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المساميين وعامتهم ؟

أين ما أخذ الله على من علم شيئا أن يبينه للناس ولا يكتبه ؟
إذا لم يهم الأزهري الأزهريين فنهمهم ! إذا لم يطب الأزهريون لداء
الأزهري فن يطب له ! إذا لم يلم الأزهريون شعهم ، ويرأبوا صدعهم ، ويسد
واخلهم فن يقوم لهم بذلك ! إذا لم تقم هذه الطائفة بالنصح فيما بينها فهل ينتظر أن
تقوم به غيرها . إذا لم نجد الصلاح في رجال الدين أين نجد نجده !

اللهم أن تهلك هذه الطائفة فلن تعبد في الأرض !
ولعل بما أحاوله في هذه الكلمة من تعرف أسباب الفساد في الأزهري وطرق
علاجه أؤدي الواجب عن نفسي وعن الآخرين .

لعل أهم الأسباب لعل الازهر عدم تنفيذ القوانين وعدم أخذ الأمور بالحزم ، وتختلف الازهريين عن عصرهم في فهم الحياة الجديدة .
١ - عدم تنفيذ القوانين :

في الازهر قوانين ولكنها لا تنفذ وعقوبات ولكنها تهمل . فهو يعيش ولا عقوبات رادعة ويسير في الحياة ولا قوانين مرعية .
يسىء المسىء ويجرم المجرم ، ويعتدى المعتدى ، ولا يؤخذ كل مجريته ، وربما لا يسأل عما فعل . ومن سنة الوجود الا يعيش مجتمع بدون رادع وبدون عقوبة لما يزرع الله بالسلطان أكثر مما يزرع بالقرآن .
وإذا لم يؤخذ المعتدى بعقوبة تروعه وتخيف أمثاله لم ينته المعتدى عن عدوانه وانضم اليه امثال له في العدوان .

اعتدى معتدون على مباني معاهدهم ولم يؤأخذوا بما فعلوا . واعتدى معتدون على أساتذتهم ولم يؤأخذوا بما فعلوا . واعتدى معتدون أمام أولى الأمر في الازهر بل اعتدى على أولى الأمر أنفسهم ولم يؤأخذوا بما فعلوا .
أيها الازهريون لا يقل أحدكم أن الاعتداء ليس على فلا أهتم به فاليوم ليس عليه ، وغدا عليه ، واليوم هو خارج المعمة ، غدا فيها
أيها الازهريون لقد ضعفتم وتخاذلتُم أمام الطلاب حتى كاد ينقلب الأمر فيصبح الحاكم محكوما والمحكوم حاكما .

يجب أن يكون مفهوما لكل أحد أن قوانين الازهر جزء من قوانين الدولة ، وانها سنت للمصلحة وفي عدم تنفيذها اخلال بهذه المصلحة .
كذلك يجب أن يكون معلوما لكل أحد أن السلطة التنفيذية في الازهر جزء من السلطة التنفيذية العامة في مصر ، فأى اهانة تلحقها فهي لاحقة للسلطة

التنفيذية العامة وهما متضامتان أشد التضامن ومتعاونتان أعظم التعاون ، ويتبع هذا نتائج أولاهما أن الحكومة يجب أن تسأل أولى الأمر في الازهر عن سكوتهم عما لحقهم من اهانة ولماذا سكتوا عليها ولماذا لم ينفذوا القانون فيها ! وان تعلمهم أن الحق ليس لهم إنما هو من حق المصلحة العامة ، لا يجوز السكوت عليه ولا التقاضي ، ثانياً أنه يجب على أولى الأمر في الازهر أن يطالبوا الحكومة بصياقتهم من كل أذى يلحقهم وأن يطالبوها بأن تعاونهم بجنودها ورجال الضبط فيها وان يجعلوا ذلك الشرط الاساسى لقبول مراكرهم والبقاء فيها .

يجب أن يكون معلوماً لكل أحد أنه ما من حكومة تحترم نفسها تؤيد الفوضى وتشجع على عدم النظام وتحمى المجرمين ، أن الحكومة وجدت لحفظ النظام فلا تخل به ، وللقضاء على الفوضى ، فلا تؤيدها . وللمطاردة المجرمين ، فلا تحميهم ، وان ذلك ربما كان في عصور الجهل والظلام . أما في هذا العصر عصر العلم والنور فلن يكون ذلك

إذا آمن بذلك أولو الأمر في الازهر طاردوا المجرمين ايا كانوا ولم يدعهم يفلتوا من العقاب وحملوهم جرائرهم ولم يسمعوا كاذبيهم في زعمهم ان هذه الجهة يرضيها هذا ، وتلك يرضيها ذاك فما من أحد كما قلنا يرضيه الفوضى والا خلل بالنظام

لقد سمعت العقلاء من الطلاب يقولون أحكمونا لصالحنا فقد سئمتنا الفوضى واضرت بنا وعلمنا أن لا خير لنا إلا في وضع الأمور مواضعها وتنفيذ القانون والعدل والنظام احكمونا فان لم نستطيعوا فدعوا الأمر لمن يستطيعه ، احكمونا وغلوا أيدينا فقد جئنا لنكون محكومين ، من الخير أن نكون محكومين لا حاكمين ، كم كنا نود أن نرى من يقول : انا هنا لحماية القانون وحماية العدل وحماية النظام

٢ - عدم أخذ الأمور بالحزم - إن الفتنة تبدأ في الأزهر صغيرة وكان يمكن القضاء عليها في مهدها بأيسر مئونة وأقل جهد، ولكنهم يطاولونها ويمادونها وفي كل يوم يتفاقم الأمر ويتسع الخرق حتى يتعذر عليهم علاجه وقديما قال الشاعر :

إذا طرف من جبلك انحل عقده تداعت وشيكا بالتقاض مرأثره
فلا تغفلن أمرا وهي منه جانب فيتبعه في الوهي لاشك سائره

حدثت فتنة الأزهر التي أشرنا إليها وفئة دار العلوم في زمن واحد، فأما دار العلوم فأغلقت أبوابها في ثاني يوم الفتنة وحرمت دخول الطلاب إليها، وأندرتهم بالعقاب وبالحرمان من الامتحان فعادوا يعتذرون وتعهدون بعدم الاخلال بالنظام فأخذت الفتنة قبل أن تشب .

وأما الأزهر ففتح كلياته للضريين فأخذوا يخطبون ويهيجون تحت سمع أولى الأمر وبصرهم وفي كل يوم يزداد الهياج وتندلع أسنة الفتنة إلى أن استنفحت وأعلن أولو الأمر أنهم عاجزون عن إعادة النظام ، ونو عالجوها في مهدها ، وأخذوها بالحزم لقضوا عليها كما فعلت دار العلوم .

٣ - تخلف الأزهريين عن عصرهم في فهم الحياة الجديدة ومقتضياتها - الحياة الجديدة تقتضى من كل طائفة أن تكون لها وحدة وأن يكون بينها تعاون ورفاق ، وأن يكون قسطها من المحبة عظيما ، وأن تقلل من البغض والكراهية جهد المستطاع . وألا تسعى إلى أغراضها إلا بالطرق المشروعة من الكفاية والنبوغ وأخذ العدة الكاملة للمناصب العالية . ولا يفكر أحد في الوصول إلى الصنف الأمامي بالتهيج وإحداث القلاقل .

والحياة الجديدة تقتضي من كل مدرسة ومن كل كلية أن يتعاون المدرسون فيما بينهم وأن يتعاون الإداريون فيما بينهم ، وأن يتعاون أولئك وهؤلاء ، وألا يسمحوا للطلبة بالتدخل في شئونهم . ومن الاجرام الذي ليس بعده إجرام في الحياة الجديدة أن يحرض أحد المدرسين أو رجال الإدارة الطلاب بعضهم على بعض أو على إخوانه المدرسين أو رجال الإدارة .

والحياة الجديدة قد أتت بسلطات لم تكن ، وقواعد لم تعرف ، قوانين لم تعهد في الحياة القديمة ، فينبغي للأزهر ألا يقف منها موقف العداء . وأن يشار الزمن وتطوراته ما لم تمس الدين أو الخلق أو تدع إلى تقويض الجماعة . إن المرء لا يمكنه أن يعيش ما لم يلائم بينه وبين بيئته ووسطه . وهذا القانون سار على كل شيء على الرأى والعقيدة والنظام والفرد والجماعة ، فعلى الأزهر أن يعي ذلك ويستفيد منه .

أراني قد درت حول الموضوع ولم أخص فيه ، وجمعت دونه ولم أصرح به ، ذكرت الأسباب القريبة ولم أذكر الأسباب البعيدة ، فهل أجد عندي من الشجاعة والإيمان ما يدفعني إلى التصريح ؟

السلامة عن الحق شيطان أخرس ، وكاتم العلم قد لعنه الله والملائكة ولعنه اللاعنون ، وغاش المسلمين ليس منهم . كل أولئك قد فكرت فيه وأنا أنظر إلى الأزهر وهو يتداعى ويتساقط وينقض حجرا حجرا ، وأنا أعلم السبب الحقيقي في فساد ولا يمتنع من البوح به والنصيحة لله ولرسوله وأمة المسلمين وخصتهم إلا اتقاء الناس ، واتقاء مجابهتهم . بما يكرهون ، والمحافظة على علاقات المودة وروابط الاخاء ، ولكن الأمر جلل ، والمسألة أعظم من أن يدخن فيها ويكنى

عنها . وقد آن لنوازع الخير أن تغلب على نوازع الشر ، وأن أصدع بما أعتقد أنه الحق ، لعل الله ينفع به فيظهر هذا المعهد العظيم من شوائب النقص ويبقيه الأمة الإسلامية منارا يهتدون به في غياهب هذا الوجود . سأقولها كلمة عارية مدوية خالصة لوجه الله والحق .

علة العلل في فساد الأزهر هي السياسة الحزبية . وكل ما ذكرته من أسباب يرجع إلى علة واحدة هي هذه السياسة . لقد كان الأزهر آمنا مطمئنا مجتمع المشمل لاحتزبية فيه ولا انقسام ، وكان يؤدي رسالته من النصيح والارشاد ، والتعليم والتربية . فلما دخلته السياسة قلبت مافيه رأسا على عقب مما ذكرنا بعضه ، وطوينا بعضه .

في الأزهر عصبية مختلفة . عصبية إقليمية ، يتعصب فيها أهل إقليم على أهل إقليم آخر ، وعصبية نفعية ، يجتمع فيها كل قوم على من يرجون النفع منه فيساعدونه ليساعدوهم ويستخدمهم فيما يريد ، ويخدمهم إذا نجح فيما يريد . وعصبية سياسية ، فهذا ينتمي إلى حزب ، وذاك ينتمي إلى حزب آخر . وذلك يمسك بالطرفين ويتردد بين الحزبين . أو قل إنه وجدت العصبيتان الأوليان حين وجدت العصبية السياسية ، والسياسة طرق وأبواب ولها حيل وخدع ، توجد كل شيء إذا أرادت ، وتركب لغايتها كل سبيل متى رغبت .

نعم كان الأزهر يؤدي رسالته خير أداء ، فدخلته الحزبية فحولت اتجاهه وغيرت سبيله ، فأصبح وجل غرضه خدمة الأحزاب المختلفة وليته يخدمها بوسائل

الاقتناع والدعوة ، ولكنه يخدمها بالشغب والاضراب والاخلال بالانظام أصبح كل منتم إلى حزب يشغب على الحزب الآخر إذا تولى الحكم وكان الطلاب هم الأداة المسخرة في هذا السبيل يرشئ بعضهم ويضلل بعضهم ، ويستغل

ما فيهم من حب البطالة للاضراب ، وتعايل حركة العمل ، فلما اتجه الأزهري الى هذه الغاية الخسيسة بعد عن غايته الأولى الشريفة بقدر هذا الانحراف . وإن المرء ليخيل إليه حين يرى بعض رؤسائه جاهدين في خدمة أحزابهم وأنين في خدمة العلم والدين ، والتربية والخلق أنهم يعتقدون أنهم وجدوا هنا لنفع الأحراب ، لا لنفع الطلاب ، ونفع الأمة بتثقيف هؤلاء الطلاب وجعلهم مواطنين صالحين ! وربما كانوا في ذلك منطقيين مع أنفسهم لأنهم لم يصلوا إلى مراكرهم بالفوق العلمي والاداري وإنما وصلوا بالحزبية ، وعن طريق الأحراب فمن الحق عليهم أن يعملوا لما رقوا من أجله وأن يهتموا مالا دخل له في توظيف ، أو ترقية . إن الحزبية لا تختار عمال الأزهري من الأقوياء في العلم ، ولا من الأقوياء في الإدارة ، وإنما تختارهم من أصحاب العصبيّة السياسية ، وهؤلاء في الغالب يكونون من أصحاب المطامع الفاسدة الذين يجرون مع كل ريح . ويكونون ممن خسر ثباعتهم العلمية فتكلموا بالتمسح بالأحراب والاعتزاز بها .

ولعل قائلًا يقول : إن الحزبية دخلت في كل مكان ولم تنتج هذه النتائج التي أتت بها في الأزهري ، فنقول إن الأزهري ليس كغيره ، إنه قريب عهد بالخلافات الدينية ، وإن أخص خصائصها أن المخالف يعقد العصمة في نفسه ، والخطأ والضلال في غيره ، وأنه على صوابه وهداه يوشك المخالف أن يستنزله عنه ، وذلك يستدعي البغض والحقد على المخالفين ، فلما دخل الأزهريون في الخلافات السياسية ، بقيت معهم مميزات الخلافات الدينية ، فكان البغض والحقد ، وأنواع التعدي والأيذاء .

وإذا كانت حال الأزهري على ما وصفنا ، كان العلاج سهلاً ميسراً وهو طرد الحزبية منه ، وجعله معهداً للأمة كلها على سواء ، لا تتوزعه الأحزاب ، ولا تنال منه الأهواء .

وهذا الدواء نفسه دأى به الأُسلام أمة العرب ، فقد كانت قبله أمة قبلية ،
يتعصب كل الى قبيلته ، وكانت لذلك بأسها بينها ، وكانت الحرب تقوم بين القبيلة
والقبيلة فتمكث الأعوام حتى يهلك بعضهم بعضا ، وقد أدى هذا الانقسام فى
الداخل الى ضعف فى الخارج ، فذلوا للأُمم المجاورة لهم ، وما زالت كذلك حتى
جاء الاسلام فأبدلهم بهذه العصبية القبلية الضيقة عصبية اسلامية عامة راسمة تشمل
الجزيرة كلها وتتعدى الى ماوراءها من أقطار شاسعة ، وبلاد بعيدة ، وحرمة دعوة
الجاهلية ، والعصبية القبلية ، وجعل المسلم أخا المسلم . لا يخذله ، ولا يحقره ، وأعلن
أن كل المسلم على المسلم حرام . دمه وماله وعرضه ، وخاف أن ينزع الشيطان بينهم
فيعودوا الى ما كانوا عليه فقال : « من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أييه
ولا تكنوا » وقال « ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ،
وليس منا من مات على عصبية » .

فاذا العرب أمة ذات عز ومنعة وذات ثقافة وحضارة ولها علوم وفنون .
فاذا أريد الأُزهر الإصلاح فالطريق أن يقتدى بالاسلام فى ترك الحزبية
وذلك يتوقف على ثلاثة ، الأُزهريين أنفسهم ، وأولى الأمر فيهم ، والأُحزاب
المصرية فأما الأُزهريون فيجب عليهم أن يعلموا أن أولى الناس بأن يكون بعيدا
عن الحزبية هو رجل الدين ، وأنه كالطبيب يجب أن يكون للجميع موضع الثقة
ومحل العناية . وعلى ذلك سار رجال الدين فى كل ملة وفى كل عصر .
تطارد العدالة المجرم . فاذا ظفرت به وحكمت عليه بالموت نظر فاذا المجتمع
منه برىء وكل الناس له خصم ، ولا يجحد بجانبه إلا رجل الدين يواسيه ويذكره
عفو الله (رحمته) ، وأنه يقبل توبة التائبين ويعفو عن المذنبين ، يذكره بذلك وهو
واقف بين يدى الجلال ، وفى طريقه الى الموت .

إن رجل الدين يجب أن يكون محبوبا وموثوقا به ليقبل قوله إذا وعظ ،
ويستجاب له إذا دعا .

ويجب أن يحب رجال الدين جميع الناس ، الصالحين والظالمين ، فأما
الصالحون فلصالحهم ، وأما الظالمون فلا أنهم مرضى ، ومهمتهم الأولى في الحياة
علاجهم .

ويجب أن يجد الجميع عند رجل الدين طمأنينة وأمنا ، وأن يكون مثالا حيا
للمحبة والرحمة والتسامح ، وأن يكون عروة لا انفصام لها تربط بين القلوب المتفرقة ،
والأهواء المختلفة ، وتزول عندها الأحقاد والأضغان .

هذا ما يجب أن يكون عليه رجل الدين ، وهذا ما يجب أن يعلمه الأزهريون
ليجعلوه مثالا أعلى لهم ، فإن أعجزهم ذلك فلا أقل من أن يعتبروا بما آل إليه أمرهم
مما ذكرنا شيئا منه وكننا سائر .

إن سير الأزهر في طريقه الذي خلقه الله له من البشارة والأندار ، والدعوة
إلى الله وخدمة الفضيلة وتعليم الدين واللغة يدعو إليه حب الأحزاب قاطبة
فكلهم يحبه لأنه يؤدي واجبه ، ولا يبغضه أحد لأنه لا يتعرض لما ليس من شأنه ،
أما دخوله في الحزبية فيجعله مكرها ممتقوتا يمتقته من لم يكن معه من الأحزاب .
يجب أن تبقى هذه الطائفة سليمة صالحة فإذا فسد ما حولها كن الأمل معقودا
بها لتصلح ما فسد وترأب ما تضدع .

إن رجال السياسة لا يحدون على الأزهر كما تحدون عليه أنتم ، إنهم يقولون
إما أن يكون معنا وإما أن يهلك ، وقد وضعنا فيه عوامل الهلاك والفساد ،
الانقسام ، والبغضاء ، والتحاسد ، وحب الدنيا وهي كفيلة أن تنقضه حجرا
حجرا ، وتجعله أثرا بعد عين .

إن لا أمر لا يعنى أحدا غيركم ، ولا يهتم أحدا سواكم .

وأما أولو الأمر في الأزهر فأنى ساقسو عليهم قسوة لم أقسها على غيرهم .
لأننى أعتقد أنه كان في إمكانهم أن يمنعوا الفوضى فلم يمنعوا ، وإن في إمكانهم
أن يصلحوا فلم يصلحوا ، قد فتح الله على أبنائهم أبواب وزارة المعارف والمدارس
الأهلية ، وهم بعملهم يعرضون أبناءهم لأن تغلق في وجوههم هذه الأبواب .
وكان في مقدورهم أن يستزيدوا من نعمة الله عليهم بالجد في تحسين بضاعتهم وتخرج
شباب من الطراز الأول في العلم والخلق والنظام .

إن المشترين مفتحة عيونهم ينتقون ويتخيرون ولن يأخذوا إلا أجود ما في
السوق من بضاعة فكان يجب أن يحرصوا كل الحرص على أن يكونوا خير
المنتجين بضاعة فاذا اهتموا في التربية العلمية فلم يتموا ما أوجبه القانون من مقررات ،
وفي التربية الخلقية ، فتركوا السياسة الحزبية تفسد في هذا النشء البريء ، وفي
النظام ، فلم يعودهم الدقة والاكام فهم حريون بكل قسوة ، جديرون بكل لوم
وتقيد ، إنه يجب أن نحذرهم الهوة الفاغرة فها لتبتلع الأزهر ومن فيه ، لعلمهم
يرحمون أنفسهم وأبناءهم ولعلمهم يشفقون على معهد وضع أمانة في أيديهم ليردوه
إلى الأجيال كما كان أو خيرا مما كان !

علمت الامم كيف تستفيد من مدارسها في إصلاح المجتمع ، علمت أن المدرسة
مجتمع صغير ، ما يستفيدة التلاميذ فيه يكونون عليه في المجتمع الكبير فتشؤونهم على
احترام حق الغير ، وعلى احترام القانون ، وعلى النظام التام ، الطاعة للرؤساء
في حدود الواجب ، ولا يمكن ذلك الا بالعادة المتكررة التي لا مثوية فيها
ولا هوادة فدخل التلاميذ حجر الدراسة في وقت واحد وخرجهم منها في وقت

واحد ، وعدم التسامح مع من يجبي . متأخرا واستمرار ذلك طول سنى الدراسة هذا كله يغرس النظام في نفوسهم ، واحترام قوانين المدرسة ، يعلمهم احترام قوانين الدولة ، وطاعتهم لرؤسائهم في حدود الواجب . عدم التهاون معهم في العصيان يغرس في نفوسهم الطاعة لاولى الامر في حدود الحق . الواجب ، وتنشئتهم على صيانة حقوق الغير وعدم التعدي على التلاميذ . المدرسين والمدرسة تجعلهم مواطنين صالحين يحترمون حقوق مواطنيهم لا يتعدون عليهم ، لا يقتصبون حقوقهم ، فاذا طلبنا أن تبث المدرسة هذه الخلال فذلك ليس للمدرسة فقط بل هو لما بعد المدرسة أيضا ، وليس لمصلحة وقتية بل هو لمصلحة دائمة فاذا تهافتت المدرسة في بث هذه الخلال في التلاميذ ، وتركهم يتعدون على الغير ، يعيشون بالنظام ، ويعصون اولى الامر ، ويستهيئون بالانوان فليست تسيء اليها وحدها ، بل تسيء إلى المجتمع الذي سيكونون فيه وليست الاساءة من الصغائر ، بل هي من أعظم الكبائر ، لان هذه الخلال التي نشأوا عليها سيكونون بها في الجمع ، وسيعدون بها من عداهم فانظروا أين أنتم مما ذكرنا ؟ أتى أكتفى هنا باللمحة العابرة ، واللفتة الخاطفة ولا استقصى .

لند كنا ننتظر ان نسائلكم ماذا فعلتم لتلائموا بين لازهر والعالم المحيط به ؟ ماهى الغايات التي تعدون أبناءكم لها ؟ وهل أنتم ممن يربون التلاميذ للمجتمع أو لانفسهم . ! هل تودون أن توجدوا بفضل التربية مجتمعا أفضل . وماهى طرقكم ووسائلكم لما تختارون ؟

فاذا أنتم فى مبدأ الطريق ، نريد منكم حفظ النظام وتربية الابناء على الطاعة فقط مما نالته المكاتب المصرية القديمة ، وحظى به الفقيه والعريف . فكيف نطالب منكم الكثير ، وقد منعمونا القليل ؟ وكيف نطلب منكم

العظيم ، وقد أياستمونا من الجدير ؟
أيها السادة لقد حكتم الازهر حكما حزبيا فيه كل مساوىء الحزبية ، فيه
أهدرت الكفايات وقدم المتأخر وأخر المتقدم .
لقد لقي منكم مخلفوكم العنت والجور فقد أشليتم عليهم الطلبة ، وقد تحكمت في
الضامات والخطرات ، وحاسبتكم على الرأي والمبدأ وأردتم أن يدوس المرء مبدأه
بقدميه لينزل على ما تريدن ، وإن لم يفعل فصنائكم يلغون في أعراضهم ويأكلون
لحومهم ، بثتم العيون والأرصاد حول من تشكون فيه واستعملتم المدرسين
والطلاب في الجاسوسية حتى عاش الرء في جو خائف كأنه في حكم أعظم
المستبدين عنتا وجورا !

ما أشقى العالم بالجاهل ، والفاضل بالردل ، وصاحب المبدأ الذي استمسك به
وجعل يصدر عنه ويبني أفعاله عليه ، بالذي لا مبدأ له ولا يعمل إلا ما توحى به
المصلحة الحاضرة . تعجبون لماذا لا يترك فلان رأيه مع ما ينزل به من المصائب
والحنن وفاتكم أن الرجل ذا الضمير العلمي لا يملك أن يغير رأيه . أو يجهر بخلاف
ما يعتقد ، وأنه يلقي الحنن في سبيله ولا يملك أن يتخلى عنه .

معكم الكثرة ويحكم السلطان فاقتلوا كل فكرة وأخذوا كل صوت ولو كان
ينادى بالوحدة وترك الحزبية وبا تشيع للحق ، هكذا فعلتم هكذا حكم الازهر في
القرن العشرين !

إنكم تربون الجيل الجديد ، فهل تأمنون طالبا سخر لخدمة الأحزاب ،
واشترى بالمال ، واستعدى على هذا وذاك ، أن يكون قاضيا عادلا . وموظفا نزيها ،
ومواطنا شريفا ؟
وهل تثقون أن طالبا يعيش في جولة سر وعلم ، وعلايته تخالف سره يخرج

إلى الحياة صريحاً في الحق ، مجاهراً بالصدق ؟
لا تنتظروا أن يأتيكم الإصلاح من غيركم ، فلن يقدر عليه إلا أنتم ، ولن
تقدروا عليه إلا مجتمعين ، لا يستطيعه الرئيس الأعلى وحده لأن رؤساء المعاهد
والكليات هم الرؤساء المنفذون المباشرون ، ولا يستطيعه الرؤساء المباشرون
إلا بمعونة الرئيس الأعلى ، فتعاونوا على الإصلاح فيما بينكم ، فهذه حال تفتي
النفوس ، وتبعث على الاشتغال والتفكر
كل هذا الفساد ، وكل هذا العبث من الحزبية فانبذوا الحزبية وارموا بها
كما يرمى بالثوب الخلق .
فإن اهتم إلا الحزبية فحزبية كحزبيه رجال الجامعة ووزارة المعارف يختلفون
ما يختلفون . ويتعصبون ما يتعصبون ولا يمكنهم يتفقون على مبادئ لا يجوز الاختلاف
فيها . ولا لا خلال بها . وهي منهم في موضع التقديس . من هذه المبادئ أن
التربية والتعليم في المحل الأول وأما الحزبية فهي في المحل الأخير . ومنها أنه
لا يصح أن يضحى بالنظام ، ولا أن تنصر الفوضى ، ولا أن تجل سبيلاً لنيل
غرض من الأغراض كأثنا ما كان .
ومنها أن المدرس مدرس ، والإداري إداري ، والطالب طالب ، تقام الحدود
بينهم ولا يعدو واحد طوره ، وأن المدرسين والإداريين يتعاونون فيما بينهم
ويتناصرون لتثبيت النظام ، ومطاردة الفوضى ، ولا يستعينون بالطلاب ولا يضربون
بعضهم ببعض .
أخوف ما أخافه أيها السادة أن تشعر الدولة بهذا الفساد في الحكم ، وهذه
الفوضى في الإدارة ، وتشاهد عياناً ما وصفناه ، فترى أن ذلك من ضعف المشيخة
في الحكم ، وأنهم كما لم يصلحوا أن يلوا أمور غيرهم لا يصلحون أن يلوا أمور

أنفسهم فتحرم الطائفة هذه الولاية .
 إن الدولة لا تقر هذه الفوضى في الازهر لان الازهر أولا جز من الأمة ،
 ومن واجبه بث الامن والعدل والنظام في جميع البلاد .
 ولانه ثانيا جزء محالط للامة والمدارس والجامعات ، والفوضى تعدى ، والدولة
 بهمها أن يبقى جسم الامة سليما .
 ولأنه ثالثا يخرج رجالا يلون وظائف الدولة في المحاكم الشرعية وفي التعليم
 في المدارس ، والدولة تحرص أشد الحرص على أن يتحلى هؤلاء بالنظام لينثوه
 في تلاميذهم وفي الجو المحيط بهم ، وتأني كل الأبناء أن يكون الأمر على غير ذلك
 فحافوا على هذه الولاية أن تسلب ، وعلى هذه الأبواب التي فتحتها الله على أبنائكم
 أن تغلق ، واستديموا نعمة الله عليكم وعلى أبنائكم بحسن الرعاية لهم ، وبالعدل ،
 وبلاستباق إلى الخير ، وبلاستفادة من كل ناصح ، وأفهموا الدولة بالفعل أنكم
 تخرجون جيلا قويا في العلم ، قويا في الخلق ، قويا في النظام .

وأما الأحزاب فاني أقول لهم يارجال السياسة أن الأزهر أمد ديني قد أدى
 للامة الاسلامية خدمات ألف سنة أو تزيد وقد حافظ عليه سلفهم طوال هذه المدة
 فحافظوا عليه كما حافظوا ، واتركوه يؤدي ما عليه من واجب للدين والأخلاق
 كما تركوه ، واخشوا حكم التاريخ عليكم ، إذا أدخلتم الأزهر في السياسة وزججتم
 به في تيارات الحزبية لم تنتفعوا به ، بل كان ضرره أكثر من نفعه ، فاذا دخل في
 حزب وناصره لحالات خاصة ، وظرف معينة قدرت الأحزاب الاخرى أن
 تضمه اليها في مثل هذه الظروف وهذه الاحوال ، فيكون على الحزب الاول بعد

أن كان له ، والحزب الثانى بعد أن كان عليه ويجد من ضرره مثل ما وجد من نفعه ومن خذلانه مثل ما وجد من نصره ، فليس من الخير للأحزاب فى مصر أن يمرنوه على الدخول فى بحر السياسة الصاخب ، وفى لجج الأحزاب المتلاطمة لانه حينئذ يضر ولا ينفع ويفسد ولا يصلح .

أحوج ما تحتاج اليه الأمة رجال خرجوا عن جميع الأحزاب فلم يدخلوا حزبا ، وليس لهم هوى فى حزب ولا بغض لحزب ، يرون أمتهم كلها سواء ، يتخذون الصغير ابنا . والكبير أبا ، والمساوى أخا ، هؤلاء تحتاج اليهم الأمة ليردوا طغيان الحزبية إذا ما طغت ، وليكبحوا جماحها إذا ما جمحت . فى مصر خلافات لم تجن منها خيرا بل جنت منها صابا وعلقا ، وهذه الخلافات يجب أن تزول — وإن تزول إلا بتدخل قوم عرفوا بالحياء وحسن الجميع الظن بهم ، فيستمعون لهم ويستجييون لدعائهم ، ونحن نريد أن يكون الأزهر هو ذلك السفير ، سفير الخير والاصلاح .

أيتها الأحزاب ، إن الأزهر قد وجد ليؤدى أعظم مهمة فى الوجود ، وهى بعث الايمان فى النفوس لينتج الخلق الرضى ويطرد الخلق الذميم . وإذا تحملت الأمة بالأخلاق الفاضلة ، وتخلت عن الأخلاق الرذيلة حسنت الأفعال وقلت الجرائم ، وعز المجتمع ، وسعدت الأمة ، فدعوه يؤدى رسالته ، ولا تفسدوا هذا المعهد المحتاج اليه أعظم الاحتياج ، وإلا كنتم تقوم لهم قليب ماء يستقون منه ويسقون منه زروعهم وماشيئهم فعمدوا اليه فغوروا مائه ، وهدموا بناءه ، واصبحوا لا يجدون الماء المعين .

يا رجال الأحزاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم وبين المصريين جميعا حاكمهم ومحكومهم أن نجنب الأزهر السياسة الحزبية ، وأن نبعده عن التيارات

المتعارضة ، وأن نجعله للأمة جمعاء ، بل للأمم كافة يحمل الأمانة ويؤدي الرسالة ونحب هنا أن ننبه على أمر ينفعنا إذا فكرنا فيه في كثير من شؤوننا وهو أننا في سنة ١٩١٩ لم ننكر على التلاميذ اشتغالهم بالسياسة ، ولم نستعجن إضرابهم عن الدرس والتحصيل ، لأننا كنا نعتقد أننا نقاوم سلطة غير شرعية ، فلا ضير أن تعباً جميع قوى الأمة لمقاومتها ، ولا ضير أن تضيق على أبنائنا سنة أو سنتان في سبيل هذا الغرض الأسمى - تحقيق الاستقلال - فإذا ما نلنا ذلك عادت الأمور إلى مجاريها الطبيعية ، والتزمت الحدود فلا يعدو واحد حده ، والآن وقد اتفقنا مع بريطانيا على شيء ، وأصبحنا أمام سلطات شرعية ، فلا يجمل أن يضرب التلاميذ ليقاوموا حكومة وطنية قائمة ، ولا يجمل أن يشتغلوا بالسياسة الحزبية ، ولا يحسن أن يهملوا القانون ويخلوا بأحكامه .

إن إضراب التلاميذ ، وعدم طاعتهم أوامر رؤسائهم ، وعدم احترامهم القانون ، فوضى لا تحتمل ، وكانت قد أحلت برهة من الزمن ثم عادت حراماً كما كانت ، إن أبناء الأمة يجب أن يعودوا احترام القانون وأن يعودوا النظام ، ولا يسمح لهم أبداً بالأخلال بذلك . وإلا فرطنا في أبناء اليوم ورجال المستقبل وأخرجنا جيلاً قد انحل النظام ، واحترام القانون ، وهذا شر ليس بعده شر .

إنهم يجب أن يتزودوا في شبابهم بزيادة العلم والمعرفة وأن يتقنوا عقولهم في هذه الفترة من الزمن ولا يسمح لهم بالأضراب عن التسليح بسلاح العلم ، وإلا أخرجنا جيلاً خافى العلم والمعرفة ، وهذا شر لا يقل عن سابقه .

يجب أن نعلم ذلك فنجنب أبنائنا جميعاً في المدارس والمعاهد والجامعات السياسة الحزبية وتواضع على ذلك فيما بيننا ، ونعده فساداً ليس بعده فساد من الخير أن نضع قانوناً يحرم ذلك ، ويعتده جريمة يعاقب عليها ، فليس إئتلاف الشباب بأقل

خطرا من إتلاف الزروع ، واحراق البيوت ، والافساد في الأرض !
 بين ظهر ايننا مدارس أجنبية ، فهل رأيتم يوما ما تلاميذها خرجوا مضربين
 صاحبين هاتفين ، وهل رأيتموهم يسرون في الشوارع يحطمون المصابيح
 والمركبات العامة ، ويقفون حركة المرور ، هل رأيتموهم جعلوا الجهل وسيلة نيل
 مطلب ، أو بدر منهم ما يدل على أنهم لم يتعودوا النظام واحترام الملكية والقانون
 لماذا يكونون كذلك ويكون أبناؤنا على ما تعلمون ؟ هذه تربية قوم آمنوا بالشباب
 فحافظوا عليهم من كل ما يفسد تربيتهم وآمنوا بالمدرسة فتشأتمهم على هذه التربية
 القويمة ، وماذا يكون الحال إذا خرج هؤلاء مسلحين بسلاح العلم والخلق والنظام
 وخرج أبناؤنا عزلا من هذه الأسلحة ؟ اليس الغلبة في الوجود للعلم على الجهل
 وللأخلاق القويمة على الأخلاق المعوجة ، وللنظام على الفوضى ؟

إن هذا الموضوع شائك والطريق اليه غير معبد وقد علمت ذلك فحاولت
 أن أسير فيه دين أن أرتطم بصخوره أو أتعثر في عقابه ، فحاولت ما استطعت
 أن أرحى ولا أغضب وأن أخص ولا أعم ، وأن أبهم ولا أعين وأن أذكر بالمصلحة
 العامة دون الخاصة ، بل أبنت أن المصلحة العامة والخاصة تقضيان جميعا بتجنب
 الأثر المزلق للسياسة ، فأن أفلحت فيما حاولت فذلك توفيق من الله ، وإن أسىء
 بى الظن ولم أوفق فيما أحاول فليست بأول من ناله الضرر في سبيل الخير ولا بأول
 ناصح قد استفاد من نصحه الظنة .

ولست أبالي حين أقتل . اما على أى جنب كان فى الله مصرعى
 هذه كلمة نعتها فى صحف حسنانى ، لأننى لم أقصد بها الاتقام من أحد ،
 ولم أقصد بها الأضرار بأحد ، ولم أقصد بها نصرة فريق على فريق ، وإنما قصدت

بها المصاحبة العامة ، والخير المطلق ، وإرضاء الدين والحق .
ولا يظن أحد أننى بهذه الدعوة قد أخذت منه الأ زهر أو حرمته إياه بعد
أن كاد يأخذه ، إننى قد قت بهذه الدعوة والأ زهر أشلاء متناثرة بيد هذا شلو
وبيد ذاك شلو ، إننى قت بهذه الدعوة لأجمع الأ زهر وأوحد كلمته ، وأوجهه فى
طريق الخير ليوجه الأمة فى هذا الطريق نفسه ، ولعله يكون نصيب كل حزب
وكل مسمى منه مجتمعا متحابا خيرا منه متفرقا متباغضا ، يمشى على غير الطريق
السوى ، الآن علمت الأ حزاب المختلفة أننى سلم لها لا حرب ، وأننى لم أنء عنها
إلا لأقرب منها . ولم أكره الحزبية إلا لأففعها وأننى مستقلا خير لها منى متحزبا
الآن علمت هذه الأ حزاب أنه من الخير أن تترك بعض أبناء الأمة يفكرون
بفكر مستقل . وليس من الخير أن تلجئهم إلى أن يسيروا فى طريق سارت فيه
القوافل ، وأن تلجئهم إلى رأى العامة والذهاب ما

ما كدت أفرغ من كتابة ما تقدم حتى تخيلت أن الأ زهر أصغى إلى ما قلت
وعلم أنها نصيحة من والد رحيم ، وأخ شفيق . وأنه لم يضطر إلى ذكر العيوب
إلا كما يضطر الطبيب إلى تشخيص الداء ، ليضع له ما يناسب من الدواء ، فجاهد
نفسه على ضوء ما رسمت من خطط فالتصرت عليها ، ورمى بالحزبية من النافذة ،
وقاده قوم عرفوا تطور العقل لانساني ، وتاريخ التربية ، وعلم النفس ، وكيف
يستفيد منه المرءى ، وعرفوا أسباب رقى الامم وانحطاطها وعرفوا كيف يصوغون
النفوس البشرية على الخلق القويم ، والارادة القوية والعقل الحر المتكسر ، كما
يصوغ الصائغ الاساور والعقود ، وعلموا أن مهمة الأ زهر ليست حشو أذهان
التلاميذ برسوم القواعد ، وحدود العلوم ، بل مهمته تثقيف العقول وتقويم الخلق

وتطهير النفوس من الخرافات التي تقعد بالأمم عن النهوض والرقى وغرس العقيدة الدينية صافية من كل شوب ، فخرجوا شبابا كالماء الطهور - كما يقولون - طاهري نفسه مطهر لغيره فانبعثوا في جميع بلاد الاسلام يطهرون العقول من جهالاتها وخرافاتها ، والنفوس من رذائلها ونقائصها ، ودفعوا بأمم الاسلام إلى ركب الانسانية المخذ في السير ، يسرون معه جنبا إلى جنب ، لا وائين ولا متخلفين ، يتكبرون كما يتكبر ، ويعمرون الكون كما يعمر ويكشفون عن أسرار الوجود كما يكشف ، ويزيدون في رفاهية العالم كما يزيد فان صدق هذا الخيال ، وتحقق هذا الأمل ، فليس لي في ذلك من فضل ، بل الفضل كله لصاحب الجلالة الملك فاروق فقد رعى الشباب فكان حقا علينا أن نرعاهم ، وأراد منهم أن يكونوا دة البلاد الحصينة فوجب علينا أن نعدهم كما أراد ، علم - أعزه الله - ان الأمة بشبابها ، وان الشباب بعلمهم واخلاقهم ، فكرم النابغين منهم في كل عام ليتنافسوا في النبوغ فيفوزوا بهذا التكريم ، وقرن هذا التكريم بصائحه الغالية التي تنير لهم السبيل ، فوجب علينا أن نعينهم ونسددهم ، وأراد منهم أن يسيروا ببلادهم قدما إلى العلا ، فوجب علينا أن نزيل من طرقهم العقاب والصعاب .

لقد وضع (الفاروق) الأساس فبنينا ، ونهج السبيل فاقتدينا ، فله من الله الثواب والأجر ، وله من رعيته المخلصة الأمانة الدعاء والشكر

القاهرة في أول المحرم سنة ١٣٦٥

١٩٤٥

RA

LG
511
C45
A6x
1945

1980
121

۳۷۷/۸

۲۸۵۸۷

✓ ۳۷۷

TIME KEPT

Books may be kept two weeks
unless otherwise specified.

FINES

A fine of P.T.2 for the first day
and P.T. 1/2 for each following
day will be imposed for books
kept over time, except in the case
of reserve books, when a fine of
P.T. 10 will be charged.

DAMAGES

All losses or injuries beyond rea-
sonable wear, however caused,
must be promptly adjusted.

The American University in Cairo
Library

March 29, 1995



0 0 0 0 0 3 2 3 7 4 7

LG
511
.C45
A6
1945